غيرها من الدول الاوروبية قد غادروا اسرائيل لاسباب مختلفة (اللغة والطقس والخوف من الحرب والنقص في العمل ...) وحتى اذا كانت خيبة الامل ظاهرة منتشرة عادة بين المهاجرين فاننا لا نستطيع اعتبار حجم هذه الهجرة من اسرائيل كمجموعة من المواقف الفردية او المصادفات التعيسة . يجب أن لا ننسى ان الهجرة الى اسرائيل لا تشبه غيرها من الهجرات . فالمبررات القومية والسياسية والدينية هي عادة عميقة جدا في نفوس الذين يقررون تلبية نداء قانون العودة ، وهذه المبررات اعمق من التي تحمل اي شخص عادي على الهجرة ليجرب حظه تحت سموات اكثر رحمة . فقانون العودة لم يعد آذن الان في اتجاه واحد . وهذا ما يبرر قلق المنظمات الصهيونية والحكومة الاسرائيلية .

واما الاستاذ مارسيل ليبمان فيقول انه اذا كانت اسرائيل تتردد في الاعتراف بالواقع (الهجرة المضادة) فلان هذا الواقع « يشكل تكذيبا لادعاءين تجعل اسرائيل منهما اساس وجودها واساس سياستها . الا تقدم اسرائيل نفسها كأنها دولة كل اليهود وحامية كرامتهم ومصالحهم ؟ الا تقدم نفسها كذلك كأنها البلد — الملجأ لكل يهود العالم ؟ ولكن نجد أن عددا كبيرا من الذين اعتبروها البلد — الملجأ يحاولون مغادرتها وتذهب محاولتهم عبثا في بعض الاحيان . وتدل هذه المشكلة على الاقل بأن دولة اسرائيل، مهما كان الحكم الذي نصدره على سياستها ، لا تشكل وحدة جوهرية لا مع مصير يهود الشتات ولا مع مصالحهم . وانه من الممكن ان توجد تناقضات صارخة بين مصالح دولة اسرائيل ومصالح هؤلاء اليهود(١٦).

فلا يجوز اعتبار هجرة اليهود الى اسرائيل كهجرة المواطنين البلجيكيين الى فرنسا . وفشل اسرائيل في استيعاب اليهود السوفييت لا يقارن بفشل كندا مثلا في استيعاب المهاجرين . لان كندا لا تدعي وجود روابط بينها وبين المهاجرين اليها من لبنان مثلا مثل الروابط التي تدعي وجودها اسرائيل بينها وبين كل يهود العالم . والهجرة المضادة من كندا مهما بلغ حجمها لا تشكل خطرا على وجود الدولة الكندية . بينما الهجرة المضادة من اسرائيل تهدد الوجود الصهيوني في المنطقة وتنسف النظرية الصهيونية من اساسها .

وتواجه سياسة الهجرة الاسرائيلية منذ بعض الوقت صعوبات كثيرة . ويقول السيد لوبيج انه يكفينا للتأكد من ذلك ان نرجع الى التصريحات الرسمية الاسرائيلية . فقد صرح وزير الاستيعاب الاسرائيلي نفسه في ١٦ آب الماضي بأن « الانخفاض في الهجرة الذي نلاحظه حاليا يعود الى صعوبات الاستيعاب في البلد وبشكل خاص الى النقص في المساكن والعمل والى مشاكل التكيف الاجتماعي ». وقد اعطى الوزير بعض الارقام : لقد هاجر الى اسرائيل في الاشهر الاولى من العام الحالي ٩٧٢٢ يهوديا سوفييتيا مقابل ١٤٥٢٥ في الفترة نفسها من العام الماضي ١٩٧٣ . ومن بين هؤلاء الـ٩٧٢٢ يهوديا سوفييتيا هناك الف غادروا البلد بعد فترة وجيزة .. و١٢ ٪ من اليهود السوفييت الذين وصلوا الى فيينا في الفترة نفسها اختاروا الهجرة الى بلد غير اسرائيل .

ويضيف السيد لوبيج : اما فيما يتعلق بمجموع المهاجرين الى اسرائيل (من اليهود السوفييت وغيرهم) فقد بلغت نسبة الانخفاض ٣٠ ٪ في عام واحد : فقد هاجر الى اسرائيل في الاشهر الستة الاولى من العام الحالي ١٦٨٠٠ شخص مقابل ٢٤٤٠٠ للفترة نفسها من العام الماضي ١٩٧٣ . وقد صرح مؤخرا السيد لودلين امين صندوق الوكالة اليهودية انه من اصل المئة الف يهودي الذين تمكنوا من مغادرة الاتحاد السوفييتي بقي ٤٠٠٠ منهم في اوروبا الغربية بينما غادر ١٧ الف اسرائيل بعد أن استقروا فيها بعض الوقت . فأين نحن من نسبة ٣ر٥ ٪ من الفشل التي تحدثت عنها الاوساط الصهيونية ؟ وتضيف مجلة « بريس نوفيل » اليهودية التي تصدر في باريس والتي استقى منها السيد لوبيج هذه المعلومات ان نسبة اليهود السوفييت الذين كانوا يفضلون البقاء في اوروبا على الهجرة الى اسرائيل بعد وصولهم الى فيينا كانت لا تزيد عن ٤ ٪ عام ١٩٧٣ ولكنها ارتفعت الى ١٠ ٪ في شهري آذار ونيسان من العام الحالي وبلغت ١٧ ٪ في شهري ايار وحزيران من العام نفسه . ويقول ايضا السيد لوبيج ان هذه الارقام تفسر الازعاج الذي يسببه اليهود السوفييت الذين وصلوا بلجيكا لبعض المنظمات الصهيونية .

لماذا غادر هؤلاء اليهود السوفييت اسرائيل ؟